19830905_0001a_2

«سهرة قلق»... مع امهات المخطوفين والمفقودين

«أين ولدي... بدّي ولدي»

● احدى المعتصمات خطفوا زوجها ووالده واولادها الاربعة

وتعرف مكان احتجازهم

■ عندما قصدت امهات المخطوفين والمعتقلين والمفقودين دار الفتوى للاعتصام فيها، كن يعتزمن البقاء هناك حتى تتحرك الدولة جديا للافراج عن الازواج والاباء والابناء الذين مضت قرابة سنة من غير ان يعرف احد مصيرهم. الذي حدث ان احداث الضاحية الجنوبية التي بدأت ظهر الاحد الماضي، حملت المعتصمات على تعليق صيامهن. «الكفاح العربي» سهرت مع المعتصمات مساء السبت الماضي، فكان هذا التحقيق:

لما سألته عن ابيه لم يجب. سنواته الثلاث لا تمكنه من التفكير بالغياب او الحضور الابوي! سألته، وندمت على السؤال: هل اشتقت للبابا؟.. اجابت امه بدمعة طفرت حادة، وسقطت على يدي التي وضعتها على رأس طفلها.

لفلفت سؤالي «الاحمق» وقلت لشادي، الطفل ابن المخطوف محمد: «بكرا بيرجع البابا وبيجبلك لعبة». وضعت زوجة المخطوف منديلها في فمها لتخفي غصة اثارتها «ثرثرتي».

خجلت، وادرت وجهي في حديقة دار الفتوى الاسلامية... لاصطدم بالعيون الحائرة اللامعة في غمرة الليلة الرابعة لاعتصام امهات المخطوفين والمفقودين والمعتقلين... وجوه كالحة، حزينة، تعبت من الصيام والانتظار.. تعبت من الامل.. الامل بعودة المخطوف والمفقود الذي لم يبن له اثر منذ سنة، دون ان يستطيع عتاة السياسة والزعامات معرفة او استقصاء اشارة لنبضه او لاستغاثاته.

خجلت من نفسي ومن قلمي، وتساءلت: هل ان دبابة الحرب طحنت العقل البشري الى هذا الحد حتى تصبح قضية الالاف من المخطوفين والمفقودين مشلوحة على سلم دار الفتوى، بين نباتات حديقته!!!

في مثل هذه الايام من السنة الماضية، انتقلت الايدي القاتلة من نبش لحم اهالي صبرا وشاتيلا الى نبش الشوارع والاحياء والمنازل، تفرغها من الرجال والشباب لتعمّر السجون بصرخاتهم وجراحاتهم وعذاباتهم.

اتخيلهم الان في تجوالهن من دار الفتوى الى القصر الحكومي، الى مجلس النواب، الى منازل المسؤولين واولي الامر، تصر خطاهم على ايقاع هتافاتهم: اطلقوا حرية ابنائنا. فكوا قيودهم. اخرجوهم من الزنازين والاقبية.

جلت بعيني في ارجاء حديقة دار الفتوى.. رأيت كل ما يمكن ان يؤلف المأساة: نساء هنا وهناك! اقتعدن العتبات واحواض الازهار. منهن من انتحين جانبا، واخريات احتضن اطفالهن في وجوم.

سهرة مع القلق والانتظار

حركة الية تقوم بها الامهات هناك عندما يدخل الزائر. يحاصرنك، ويتفرسن

1983-905_0001b_R

في وجهك وكأنهن ينتظرن منك خبرا او جديدا عن ابنائهن. اكثر من يد تتحرك في «الجيبة» او «العب» تخرج صورا للغائبين.

كأنه فصل من جنون. ترفع الصور في وجهك... امام عدسة الكاميرا، بصمت تارة وبعويل تارة اخرى، لكي.. تكون شاهدا على ما حدث. شاهدا على الخسارة والجريمة التي ارتكبت بحق الوف المواطنين وعائلاتهم.

تتزاحم الصور والوجوه امامي... ويدور اللغط . حكايات واسماء، ومطالب وامنيات. ينكسر المشهد: دموع وغضب واتهامات وتهديدات.

هي الساعة الثامنة مساء. وكنت قد قررت قضاء سهرة مع امهات المخطوفين والمفقودين لنقل وقائع اعتصامهن المستمر منذ ٣ ايام في دار الفتوى الاسلامية في اطار التحرك الذي بدأته لجنة الامهات لتحريك قضية المخطوفين والمفقودين.

هل يمكن ذلك؟ من يستطيع مساهرة القلق والخوف والانتظار؟ من؟ غير الام القلقة على ابنها المخطوف؟ والزوجة التي تخاف على زوجها المفقود؟ والاخت التي تنتظر عودة اخيها من بين ايدي الجلادين؟

تتحلق الامهات والزوجات حولي، وتقول احداهن: الشب من التلفزيون؟ قلت: لا من مجلة «الكفاح العربي». قالت: «اهلا بالصحافة.. التلفزيون مش داير باله.. ما حدا عم يهتم فينا غير الصحافية». قلت: فقط ؟ قالت: «بس الصحافة. عملولنا لجنة بالدولة ما شفنا منها شيء. عملوها على الفاضي، ليكرمونا. قال لجنة استقساء قال(تقصد لجنة الاستقصاء).. شو بينفع؟ الناس كلها عارفة وين المخطوفين».

□ اين يا سيدة؟

- ردت بسرعة: عند الكتايب.

□ وما سر تأكيدك؟

- «ولو شو بدها اثنان يحكوا فيها. الدولة اعترفت. وهني اعترفوا.. المسؤولين قالو هيك بس على السكيت. انا قابلت كتير وقالوا ان المخطوفين عند الكتايب وما حدا قادر يعمل شيء».

□ لماذا؟

- «الله بيعرف ليش.. وحده الجبار العليم شايف وسامع وداري باللي جرى لولادنا».

كلمات سريعة ومتداخلة، مزيج من الحزن والتساؤلات والاحباط، بثتها هذه الام على مسمعي... فسبقت قلمي، واثارت في اللواتي اجتمعن ذكريات حوادث الخطف.

حكايات طويلة، مرّة، حولت هدوء الليلة الى تظاهرة حزينة: هذا ذهب لشراء الخبز.. جاع اولاده ولم يعد... وذاك كان في طريقه الى العمل ولم يصل... وذلك انتزع من سريره.. واخر خطفوه من الشارع «على عينك يا تاجر» وكثيرون غابوا في غابة الانتقام والحقد الاعمى.

٦ مخطوفين من عائلة واحدة

الف ليلة وليلة.. والف سهرة لا تكفي لسماع حكايات الامهات عما حصل لابنائهن منذ سنة!

بعض المعتصمات تدخلن لاعادة الهدوء والنظام... و«لاتاحة المجال امام الصحافة» لاخذ المعلومات.

- «تفضل يا اخي شو بدك تسأل».. بادرتني بذلك ام لاربعة مخطوفين من العرب الرحّل مع والدهم شوكت سليم ووالده محمد (٧٠ سنة).

□ هل من اخبار عن الاولاد؟

- «الحمد لله.. موجودين في المجلس الحربي الكتائبي منذ اختطافهم».

اذهلني الجواب:

□ وتقولين الحمد لله.. على ماذا؟

- «بعدهم طيبين يقبروني. كتر خير الله. ناس من الكتائب خبروني عنهم. ما بقدر قول اساميهن. منشانهم حرام. بس، يا حرام، قالولي الختيار (والد زوجها) اعطاكِ عمره!! وقال لي انو عم بشغلوهم في صربا ووادي ادونيس».

□ ماذا تريدين من الاعتصام؟

- «عندي ٦ أولاد صغار تركتهن بالبيت وجئت لاعتصم مع اخواتي. الاعتصام منيح منشان ولادنا. يا حسرتي على العيد (عيد الاضحى المقبل) بيصير الهن سنة مخطوفين. من دونهم ما في حدا بيجبلنا رغيف خبز.

لم اكمل سؤالي لصبيحة فارس (زوجها واولادها الثلاثة من المخطوفين) حتى قالت: «ما في نتيجة لهَلَقْ... ما في نتيجة (ضربت كفا بكف ومسحت جبينها.. الى اسفل عنقها وشدت بياقة ثوبها). ناس بيقولوا ميتين وناس بيقولوا طيبين.. مين بدي صدق؟ عند ٥ اولاد بالبيت مش عارفي شو بدي اعمل فيهم. وعندي كمان ٣ اولاد لابني المخطوف. مش حرام. شو ذنبهم؟ شو عملوا؟».

□ ما هي نتيجة الاعتصام برأيك؟

رفعت يديها متضرعة الى الله:

- «ما في غيره الجبار بيرجع اولادنا. تظاهرنا وصرخنا وطالبنا ولم يجاوبنا احد. اعتصامنا اليوم من ضمن تحركنا. الله يخلي اولاد الحلال اللي بيسألوا عنا مثلك. ما اجا حدا يسأل عنا من الدولة. مش فارقة معهم.. بنموت بنعيش».

□ كيف تعيلين اولادك؟

- المعيل هو الله.. شو بدي اعمل؟ عم روح على البيوت بمسح وبكنس. ما في شغلة ثانية.

شريفة شكر التي تجلس بهدوء مميز عكست في كلامها ثورة عارمة واصرارا على الصمود قالت:

- اعتصم هنا من اجل ابني محمد علي بريطع. الاعتصام بقدرة الله بدو يمشي للاخر. جوع.. عطش.. تعب.. مش مهم. لا الله ولا عيسى ولا مريم بيقبلوا الظلم. خطف؟ معليش.. الحالة مش رح تطول هيك.

بكاء طفل عند عتبة باب قاعة الاحتفالات في دار الفتوى استحوذ على اهتمامي.. نظرت فوجدته صغيرا يهتز على ركبتي امه. انها تهدهده كي ينام. لا تستطيع ان تتركه في البيت دون مراقبة، كما انها لا تستطيع ان تتخلف عن الاعتصام. منذ ثلاثة ايام بلياليها وهي في حديقة دار الفتوى. صائمة. منكفئة على نفسها ووحدتها، تراقب ما يحدث. هكذا تقول زميلاتها عنها.

في عتمة الحديقة تلاحظ جمرات السجائر من هنا وهناك. نسبة المدخنات ارتفعت بين الامهات «وفي نسوان تعلموا شرب السيجارة ليموهوا عن بالهم».

زفرة جارحة اطلقتها السيدة رتيبة والدة المخطوف علي حسين فارس، واتبعتها بقولها:

- «مش رح نحاحل الا بدنا ولادنا. مش رح نتعب من الاعتصام».

واخذت تصعد صوتها وحركة يديها: «ابني مش رح اتركه لم يدهم

فوقنا، وقالت: «عم يفتشوا عن المخطوفين. يروحوا يشوفوهم على الطرقات. عم يشغلوهم بشق الطرقات. سخرة مثل ايام تركيا انا بقبل روح محله. انا بشق طرقات بس يرجعوه الى اولاده.

صبحية جعفر قالت لي ان ابنها الاول الذي خطف اخرج من السجن اخيرا «على اخر نفس»، وان ابنها الثاني المخطوف ايضا لا تعلم عنه شيئا.

واضافت: «املنا كبير بتحرير المخطوفين. الرئيس امين الجميل وعد خير.. طالما ابني غايب سأجلس هنا مع المعتصمات. ما في عندي شغلة او عملة. ابني هو رزقتي الوحيدة».

الساعة التاسعة ليلا. جمرات السجائر تتكاثر، كذلك بكاء الاطفال، الامهات اللواتي افترشن عتبات السلم وحوافي الجدران «اخلدن» الى الهدوء، فيما حضر بعض مصوري الصحف المحلية. احدى المعتصمات اخذت توزع الاغطية على زميلاتها.

زميلي المصور عدنان لفت نظري الى احدى المعتصمات: عيدة ابراهيم. اقتعدنا الارض بجانبها. بدات وكأنها تتلو خوفها او شهادتها، قالت: خطف ابني وزوجي بين بشامون وخلدة. ومن يومها وانا اعيش في حداد. ما في حدا بيساعدني.. لولا اللجنة والنسوان كنت انفجرت.

انا كمان. التفت الى مصدر الصوت. التقت عيني بعينيها المغرورقتين بالدموع، قلت لها: انت شو؟

- «مخطوف ابني.. كل ما املكه اخذوه مني (زاغت عيناها واردفت بصوت متهدج) الله يقطع ايديهم. الله ينتقم منهم. شو بدي احكي لاحكي. قضيتنا منسية، بس ما رح ننسى ولادنا».

□ افترشوا الارض.. بعد اعياء الاعتصام□

السيدة وداد زوجة احد المخطوفين ردت على سؤالنا عن عمل لجنة الاستقصاء بحزم:

- هذه اللجنة للتخدير، ولتنفيس تحركنا. خصوصا وان مهمة اللجنة الرسمية هي ملء الاستمارات. نحن انجزنا الاستمارات منذ ٩ أشهر. لجنتهم لم تقدم اي نتيجة عملية على صعيد الاستقصاء. وضعهم حرج كما يقولون! لا زالت الاطراف الخاطفة لا تعترف بالمخطوفين، بل لا زالت تمارس الخطف. يقولون «لا تحشرونا مش قادرين نحكي». اذن لماذا شكلت اللجنة؟ لقاءاتنا مع اللجنة تؤكد انهم لم يتوصلوا الى اي نتيجة.. طلبنا مشاركتهم في عملهم فقالوا ان اللجنة رسمية.

□ وماذا عن اعتصامكم؟

- ردت شقيقة المخطوف جوزيف حنينة: هناك ايجابيات لتحركنا. لقد

يشقفوني. لو رزقة تركتها. بس هيدا كبدتي اخذوا مني مهجتي».

بدنا اولادنا.. وبس

تتدخل معتصمة اخرى: عايشين لا اكل ولا شرب. مقهورين على البلاط مثل ما شايف. ما بنستحق زيارة من مسؤول. ولو؟ شو يهود نحنا؟

ترد السيدة رتيبة:« لا نريد لا اكل ولا شرب. بدنا ولادنا وبس».

□ ما رأيكم بلجنة الاستقصاء التي شكلتها الدولة؟

لوحت معتصمة بيدها وقالت: لشو؟ ما بيّن منها شيء. لو عملت شيء منيح بيفيدنا ما كنا اعتصمنا. كان عندنا امل. بدنا نتائج مش لجان، ولو الدولة عم تشتغل ما كنا تعبّنا حالنا.

امرأة مسنّة خيمت بردائها الاسود شكلت لجنة الاستقصاء. نحن طبعا لا نستطيع اخراج المخطوفين. كان الرئيس شفيق الوزان يقول «مش طالع بايدي شيء». اليوم طلع بيده وشكل لجنة. اللجنة بحد ذاتها اعتراف من الدولة بأحقية قضيتنا وبوجود المخطوفين. ولكن نتائج اللجنة لا شيء. فشل.

وتضيف السيدة وداد: نحن معتصمات ومضربات عن الطعام منذ ٤ ايام. هناك بضع نساء نعطيهم سكر نبات «وبونبون» و«ليموناضة»، خصوصا المرضعات منهن، وذلك لاعانتهن على الاستمرار.

□ والى اين؟

- طبعا الاعتصام مستمر طالما نحن قادرات على الصمود. ولن نعدم وسيلة للتحرك.

□ هل هناك حالات مرضية؟

- «البنادول» و«الاسبيرين» الى رواج. هناك اعراض دوخة ووجع رأس.

تتدخل معتصمة وتقول: عم ناخذ ادوية اعصاب.. مبارح انهارت امرأة واخذوها الى الطبيب.

شريفة شكر احست باعراض مرضية ذهبت الى الدكتور البير شعراوي ودفعت ١٥٠ ليرة بدل معالجة تقول: بعدما رجعت من عند الحكيم جئت الى الدار لمواصلة الاعتصام.

صورة ولدي في عيني

تقول السيدة وداد: هناك نساء يتناولن المنشطات بغية الاستمرار في التحرك وبعضهن احضرن الاولاد، واخريات يأتين في النهار فقط بسبب ظروف عائلية واهالي المنطقة تعاطفوا معنا، وقدموا لنا اغطية وفرش، ومنهم من شارك في الاعتصام.

يطلع صوت من زاوية معتمة (الجميع يستمعون الى الحوار):

- «ما بدنا شيء. بدنا ولادنا يطلعوا من السجون».

□ اين تنامون؟

ترد السيدة وداد:

- في الحديقة كما ترى. البعض القليل يطبق اجفانه، والاغلبية لا تستطيع النوم ومعنا ١٥ طفلا.

يصفو المشهد على هدوء مميز.

□ سنذهب ونترككم لتناموا؟

- صاحت احدى المعتصمات (تمددت بجانب ولدها) وقالت: صورة ولدي بعينيّ. كيف اطبق جفوني على الجمر؟!

... رجال الامن خارج سور الحديقة.

.... من حولي تناهت خيوط من الكلمات لاحاديث خافتة تتبادلها النسوة.

اللواتي تحدثنا معهن انصرفن للراحة وكأنهن أدّين الواجب اليومي، مساهمة في «بيان الخطف والخوف»

■ تحقيق: حسن م . عبد الله